

لمحة تاريخية بسيطة

المحاضرة رقم 1

د. محمود سواس

منذ القدم استعان الإنسان بقدراته الطبية الابداعية لخدمة العدالة، ولكن مفهوم الطب الشرعي كعلم قائم بذاته يعود فقط إلى بداية القرن التاسع عشر، وافق جريمة في إنكلترة عام 1811 حيث تم الاستعانة بالأطباء لمعرفة إذا ما كانت بقع الدم المكتشفة هي بقع دم حقيقية، ومنذ تلك اللحظة بدأ الطب الشرعي يقفز قفزات واسعة حتى توصل اليوم إلى التعرف على هوية الجاني من خلال بصمة DNA.

ولهذا النوع من الطب طبيعة خاصة فالطبيب الشرعي يعمل تحت جوٍ مكشوف، وهو مضطر في النهاية لتقديم تقرير دقيق لأعضاء التحقيق، فهنا تنعدم السرية، وتتعدد الأطراف التي يتعامل الطبيب الشرعي، وبينما يتعامل الطبيب العادي مع المريض، يتعامل الطبيب الشرعي مع المتهم والمدعي والشرطة، ويتعرض لانتقادات شديدة من المحامين الموكلين الذين يحاولون التشكيك بصحة التقرير لكسب قضاياهم.

لكل هذا فإن عمل الطبيب الشرعي يفرض عليه ميزات خاصة تؤهله للقيام بعمله بدقة، وأهمها:

1- الإلمام بالمعلومات الطبية الشرعية والطبية بشكل كامل، إضافة إلى معرفة قضائية غير سطحية: لكي يتمكن من فهم مكونات الطلبات القضائية والإجابة أيضاً على الأسئلة الموجهة إليه.

2- الذكاء وقوة الملاحظة: حيث أن عمل الطبيب الشرعي يكون في وسط إجرامي ومع رجال التحقيق. وقوة الملاحظة عامل رئيسي في كشف الوقائع المهمة أثناء فحص مكان الجريمة. كما يتطلب عمله محاكمة عقلية رفيعة المستوى لربط الأسباب بمسببها.

3- الحذر وعدم التسرع: يجب أن يعلم الطبيب الشرعي أن التسرع يمكن أن يؤدي إلى قلب الحقائق، والتراجع غير وارد بعد إعطاء الجواب أو كتابة التقرير، لذلك عليه أن يأخذ وقتاً كافياً. أما الحذر فهو ضرورة قصوى خلال عمل الطبيب الشرعي، وعدم إعطاء الأجوبة الدقيقة إلا حين وجود الأدلة القاطعة.

4- النزاهة والاستقامة.

و يتألف تقرير الطبيب الشرعي من الأقسام التالية:

1- المقدمة: وفيها معلومات عن المصاب وهويته ومعلومات عن الطبيب والجهة المكلفة بالعمل.

2- الشكوى: كما وردت على لسان المريض " في تقارير الأحياء ".

3- الفحص السريري: وهو نوعين:

A- فحص الجثة : 1- فحص ظاهري. 2- فحص تشريحي.

B- فحص سريري للموجود في حينة.

4 - الملخص والمناقشة: وتحتوي على:

- العلامات الموجودة.

- المناقشة السببية.

5- الخاتمة: وتحتوي على التشخيص " بكلمات مختصرة و مفهومة من الجميع و متناسبة مع القانون " .

تعريف الطب الشرعي:

- هو الفرع من الطب الذي يضع المعلومات الطبية في خدمة القضاء بهدف إجلاء الحقيقة .

- ويقوم الطب الشرعي بثلاث مهمات مختلفة لهذا الهدف.

مهام الطب الشرعي:

A- الكشف الطبي الشرعي على الأحياء: وهو يتضمن مواضيع ومسائل عديدة أهمها:

1- البت في القضايا الجنسية:

- تحديد العمر الجنسي والبلوغ: لأهمية ذلك في قضايا الاغتصاب واختلاف العقاب القانوني في الواقع فيما إذا كانت المغتصبة قاصرة أو غير بالغة جنسياً، كما ورد في المواد 489- 490- 491 من قانون العقوبات.

- تحديد حالة غشاء البكارة: أي تحديد وقوع فعل اللوج أم لا في حالات الاغتصاب، والحكم هل التمزق قديم أم حديث؟.

- تحديد وقوع فعل اللواط: وذلك عن طريق كشف الشرج القمعي، وهبوط الشرج وحالة الثنيات.

- البت في حالات إثبات البتة و الأبوة.

2- تقدير درجات العجز والتعطيل عن العمل: حسب درجات العجز القضائي والعمالي.

3- فحص المتهمين.

4- تقدير الحالة النفسية.

B- الكشف الطبي الشرعي على الجثث:

وهو ذو فائدة عظيمة والمعلومات التي نحصل عليها من التشريح لا يمكن الحصول عليها بأي طريقة أخرى وأهم هذه المعلومات:

1- تحديد زمن الوفاة.

2- تحديد سبب الوفاة.

3- تحديد آلية الإصابة.

4- معلومات إضافية: كوضع المغدور في لحظة الإصابة أو قطر السكين المسببة للطعنإلخ.

C- البت في الأخطاء الطبية ودراسة الوثائق لكشف التستر والخطأ:

وهذه المهمة في بلادنا تشغل حيزاً ضيقاً جداً، إذ من النادر رفع القضايا ضد الأطباء نتيجة الجهل الطبي والتعتيم، وعدم وجود جهات مختصة تبت في هذه الأمور، على عكس الدول الغربية ففي الولايات المتحدة وصلت القضايا إلى حد ابتزاز الأطباء بأخطاء لم يرتكبوها، أو بتزوير أخطاء وإيقاعهم بها فإن 20% من الأطباء المتخرجين حديثاً يملكون إضافة إلى شهادتهم الطبية شهادات إضافية بالمحاماة والقانون الأمريكي لتجنب الوقوع في الفخوخ المنصوبة قصداً أحياناً.

تنظيم الطب الشرعي في القطر العربي السوري

سابقاً: لا يوجد تنظيم خاص بالطب الشرعي في سورية وكل ما هناك أنه يوجد أطباء مكلفون من وزارة الصحة بالقيام بأعمال الطب الشرعي دون أي مؤهل علمي لهذا العمل ويقوم بالتشريح أطباء المشافي وغالباً ما يكون هناك ممرضين لهذا الغرض ويكتفي الطبيب بالإشراف.

لكن في هذه الفترة : في العام 2014 تم صدور مرسوم إحداث هيئة عامة للطب الشرعي مركزها في دمشق، ولها مراكز فرعية في جميع المحافظات تابعة لرئاسة مجلس الوزراء، ثم أتبعته وزارة الصحة، ويقوم البناء التنظيمي لكل فرع على المخطط التالي:

1- مستوصف للكشف على الأحياء ومعاينتهم وإعطاء التقارير اللازمة.

2- مشرحة مزودة بثلاجة لحفظ الجثث.

3- قسم المخابر وهي خمسة:

- مخبر النسيج.

- مخبر الكيمياء أو مخبر السموم.

- مخبر المناعي أو المخبر البيولوجي.

- مخبر التقنيات الفيزيائي.

- مخبر التصوير الشعاعي و الفوتوغرافي.